

مصطلح التكرار وجمالياته من خلال تفسير الكشف للزمخشري

concept of repetition and its aesthetics in "Elkachaf" by AZAMAKHCHARI

¹ سماح إمكراز جامعة البليدة 2 (الجزائر)، es.imekraz @univ-blida2.dz² علي حميداتو جامعة البليدة 2 (الجزائر)، alihamidatou41@gmail.com

تاريخ الارسال 2019-08-18

تاريخ القبول 2019-11-12

تاريخ النشر 2019-12-15

Abstract

الملخص

The concept of repetition in the Arabic language is one of the most important rhetorical issues that have spread in the bellies of Arabic heritage books, including modernity, because of its importance in bringing about textual consistency and harmony on the one hand, and promoting new rhetorical meanings of speech formats on the other hand. And the rhetoric and interpretation, and others, and the most famous of the interpreters Jarallah Zamakhshari through his interpretation of "Elkachaf ", as our world found that the repetition is frequent in the Koran, so he worked hard to reveal his rhetoric and aesthetics in the verses of the wise male, he found that one of his most rhetorical purposes: alert to take For example, the advice and guidance, customization, and self-moving and influence, and to emphasize the idea and report meanings in the souls and minds, as well as praying and supplication hybridization...

Keywords : Concepts : repetition l'incise: Elkachaf AZAMAKHCHARI, Rhetorical purposes.

تعدّ قضية التكرار في اللغة العربية من أهم القضايا البلاغية التي انتشرت في بطون كتب العربية التراثية منها و الحديثة، لما له من أهمية في إحداث الاتساق والانسجام النصي من جهة، وتعرّيز معان بلاغية جديدة لأنساق الكلام من جهة أخرى ومن هذا المنطلق انصبّ اهتمامنا بالتعريف بهذا المصطلح، والتأصيل له عند بعض علماء التراث البلاغي أولاً، وعند أشهر مفسر عرف في نهاية القرن الخامس الهجري وهو جار الله الزمخشري من خلال تفسيره الكشف، إذ وجد عالمنا الجليل بأنّ التكرار يكثر في القرآن الكريم فعمل جاهداً على كشف بلاغته وجمالياته في آيات الذكر الحكيم. وكانت من أهم نتائج هذا البحث أنّ مصطلح التكرار ورد في القرآن الكريم بأشكال متنوعة، وفي منجز الكشف، ووجود في الكلام لم يكن للإطالة أو التكاثر بل كان يخرج لأغراض بلاغية متنوعة أهمها: التنبيه لأخذ العبرة، والنصح والإرشاد، والتخصيص وتحريك النفس والتأثير فيها والتأكيد على الفكرة، وتقرير المعاني في النفوس والعقول وكذا التضريح والدعاء والتهجين والتقييد...

كلمات مفتاحية: مصطلح: التكرار : الكشف: الزمخشري : الأغراض البلاغية.

المؤلف المرسل: سماح إمكراز، الإيميل: es.imekraz @univ-blida2.dz

1. مقدمة:

يعدّ القرآن الكريم معجزة الرسول الخالدة، جاء بلسان عربيّ مبين ساحرا قلوب البشر و عقولها، فكان بحقّ قبلة للعلماء والباحثين، تحافتوا نحوه يتدارسونه كلّ حسب تخصصه، ومازال إلى يومنا هذا منبعا لم يجفّ ماؤه ولم تُكشف جلّ أسرارهِ ، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء الذين اهتموا بصبر أغواره المفسّر الكبير «جار الله الرّخشي» من خلال تفسيره «الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل»، فقد فسّره تفسيراً بلاغيّاً، كاشفاً إعجازه وجماله اللّغوي، ومن بين المباحث التي تطرّق إليها في منجزه مبحث التّكرار الذي أثار انتباهه وفضوله نظراً لانتشاره في كتاب الله عزّ وجلّ؛ كاشفاً جماليّاته وبلاغته في القرآن الكريم، ومن هذا المنطلق سنحاول الإجابة على الإشكالات الآتية: ما المقصود بمصطلح التّكرير؟ وهل هو مبحث قديم أم حديث؟ وما أسرارهِ وأغراضه البلاغيّة في القرآن الكريم؟ متّبعين بذلك المنهج الوصفي التحليلي المناسب لهذا البحث والذي يكشف بلاغة التّكرار في تفسير الكشاف.

2. مفهوم التّكرار :

1.2 لغة:

لقد تناولت أمّهات المعاجم مصطلح التّكرار أو التّكرير، منها معجم لسان العرب معرّفا إياه بقوله: "الكرّ الرجوع والكرُّ مصدر كرّ عليه يكرّ كرا وكروا وتكرارا: عطف، وكرّر الشّيء وكرّره : أعاده مرّة بعد أخرى وكرّرت عليه الحديث : ردّدته عليه"¹، فمن معاني التّكرار الرجوع ، وكذا معنى الإعادة في الأمر وترديده. ونفس المعنى لنفس المصطلح ورد في القاموس المحيط، وأساس البلاغة، إذ يعرّفه الأوّل بقوله: " التّكرار مأخوذ من كلمة كرّره تكريرا وتكرارا وتكرّة ، وكرّره: أعاده مرّة بعد أخرى "²، و نفس المعنى ورد في القاموس الثّاني معرّفا إياه بقوله: " كرّرت عليه الحديث كرا، وكرّرت عليه تكرارا وكرّر على سمعه كذا وتكرّر عليه، وناقّة مكرّة تحلب في اليوم مرّتين"³، والملاحظ من هذا التعريف وغيرها من التعريفات اللّغوية السّابقة لمصطلح التّكرير أنّها تركّز في أساسها على معنى واحد هو معنى التّرديد والإعادة.

2.2 اصطلاحا:

يعرّف الجرجاني التّكرار في كتابه «التّعريفات» بقوله: "التّكرار هو الإتيان بشيء مرّة بعد أخرى"⁴

فهذا التعريف الاصطلاحي للتّكرار يتفق بوضوح مع التعارف اللّغوية المقدّمة سابقا.

وقد ارتبط التكرار منذ القدم بالتأكيد عند الكثير من علماء اللغة والبلاغة، و منهم "ابن جني" الذي قال: "اعلم أنّ العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد وهو على ضربين: أحدهما تكرير الأول بلفظه وهو نحو قولك: (قام زيد)، و(ضربت زيدا وضربت)، والثاني تكرير الأول بمعناه وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم والآخر للتثبيت والتأكيد، الأول كقولنا: قام القوم كلّهم، ورأيتهم أجمعين، والثاني نحو قولك: قام زيد نفسه، ورأيت نفسه" ⁵ فقد جعل ابن جني من خلال مقولته هذه التكرار والتوكيد أمر واحد بل وجعل التوكيد ينقسم إلى قسمين أساسيين هما: تكرار لفظي وتكرار معنوي غير أنّ الفرق واضح بين التوكيد والتكرار فالتأكيد أوسع دلالة من التكرار إذ يمكن أن نقول أن من أغراض التكرار في بعض السياقات التوكيد والعكس غير صحيح ومن يؤكد هذا الرأي قول "الزبيدي": "وقد قرر الفرق بينهما (بين التوكيد والتكرار) جماعة من علماء البلاغة ومما فرقوا بينهما: أنّ التأكيد شرط الاتصال وأن لا يزداد على ثلاثة والتكرار يخالفه في الأمرين، ومن ثمّ بنوا على أنّ قوله تعالى: فبأي آلاء ربكما تكذبان (سورة الرحمن)، تكرار لا توكيد ⁶. فالتأكيد بهذا المعنى أعم وأشمل والتكرار أخص منه .

3. التكرار في التراث العربي:

لقد شغلت قضية التكرار اهتمام الكثير من العلماء قديما وحديثا لأنه ببساطة من الأساليب الشائعة في اللغة العربية شعرا ونثرا، وبالأخص في القرآن الكريم، وسنشير باختصار لبعض هؤلاء العلماء الذين تناولوا هذا المصطلح، لأنّ موضوعنا يركّز على التكرار عند مفسرنا المعتزلي "الزحاشري" صاحب الكشاف.

1.3: التكرار عند الجاحظ:

لقد كان الجاحظ يجد في تكرار الكلام فائدة ومزية تكمن في إفهام السامع بالدرجة الأولى، إذ يقول: "...وليس له أن يهذبه جدا، وينقحه ويصقيه ويروقه حتى لا ينطق إلّا بلبّ اللب وبلفظ الذي قد حذف فضوله، وأسقط زوائده، حتى عاد خالصا لا شوب فيه، فإنّه إن فعل ذلك لم يفهم عنه إلّا بأن يجدد لهم إفهاما مرارا وتكرارا، لأنّ الناس كلّهم قد تعودوا البسوط من الكلام، وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم إلّا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها" ⁷، إفهام السامع حسب قول الجاحظ هو الهدف الأول والأسمى لتكرار الكلام. ويضيف قائلا: "وقد رأينا الله عزّ وجلّ ردّد ذكر قصة موسى، وهود، وهارون، وشعيب، وإبراهيم ولوط، وعاد وثمود، وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة، لأنّه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبيّ غافل أو معاند مشغول الفكر

ساهي القلب" ⁸ فالجاحظ يضيف من خلال هذا القول بأنّ التكرار يرد في القرآن الكريم في قصص الأنبياء وغيرها لأغراض تأثيرية بالدرجة الأولى منها كالوعظ والإرشاد والإصلاح وغيرها.

2.3: التكرار عند ابن قتيبة:

تحدّث ابن قتيبة عن التكرار مفردا له بابا خاصا أطلق عليه «باب تكرار الكلام والزيادة فيه» معترفا بأنّه طريق من طرق الكلام حسن، ورد في القرآن الكريم وفي أخبار العرب يقول: "وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجزئ عن بعض، كتكراره في: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (سورة الكافرون، الآية: 1)، وفي سورة الرحمن بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (سورة الرحمن، الآية: 13)، فقد أعلمتكم أنّ القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم ومن مذاهبهم التكرار: إرادة التوكيد والإفهام، كما أنّ من مذاهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز، لأنّ افتتان المتكلم والخطيب في الفنون ، وخروجه عن شيء إلى شيء أحسن من اقتصاره في المقام على فنّ واحد." ⁹ ، فهو يجعل للتكرار مزية التوكيد والإفهام كما يجد للاختصار مزية الإيجاز والتخفيف، وكيلاهما أسلوب من أساليب العريّة خادما لبلاغتها.

3.3: التكرار عند الخطابي:

لم يفت الخطابي أن يتحدّث عن التكرار إذ وجده ينقسم إلى ضربين، ولكلّ ضرب منهما مميزات إذ يقول: "وأما ما عابوه من التكرار فإنّ تكرار الكلام على ضربين: أحدهما مذموم وهو ما كان مستغنى عنه ، غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيده بالكلام الأوّل لأنّه حينئذ يكون فضلا من القول ولغوا وليس في القرآن شيء من هذا النوع، والضرب الآخر ما كان بخلاف هذه الصّفة... وإنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمّة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والتّسيان فيها والاستهانة بقدرها" ¹⁰ ، إذ نستنتج من هذا الكلام بأنّ التكرار في الكلام قد يكون مذموما وقد يكون محمودا، أمّا التكرار المذموم هو الذي لا تحصل بوجوده في الكلام أيّ فائدة بل وجوده حشو يولد الركاكة ويقضي على البلاغة ، وهذا النوع مستبعد في القرآن الكريم جملة وتفصيلا، أمّا التكرار المحمود هو الذي يحدث الفائدة في الكلام ويضيف إلى المعنى الشّيء الكثير، بل غيابه يؤثر في بلاغة الكلام وحسنه.

4.3: التكرار عند ابن رشيق القيرواني:

لقد تناول ابن رشيق القيرواني في كتابه «العمدة» مصطلح التكرار بل وأفرد له بابا خاصا هو باب «التكرار» إذ قال: "وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقلّ، فإن تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان بعينه" ¹¹ ، فابن رشيق يؤكّد بأنّ التكرار قد يكون مفيدا في مواضع وغير مفيد في مواضع أخرى، وذلك حسب سياق الكلام ومقامه وغرضه البلاغي الذي

جاء من أجله، كما وجد بأنه يتردد في الألفاظ دون المعاني بشكل أخص. كما يذكر بعض أغراضه في شعر العرب والتي منها: "التشوق والاستعداد إن كان في تغزل ونسيب... أو على سبيل التثويه والإشادة إن كان في مدح... أو سبيل التقرير والتوبيخ... أو على جهة الوعيد والتهديد إن كان عتاب موجه..."¹². فالتكرار من أساليب العربية ومن عناصر الفصاحة والبلاغة في نثرها و شعرها الذي منه الغزل و المدح و الهجاء و العتاب وغيرها يرد لغرض من الأغراض الأدبية كما هو الحال في الأمثلة التي ذكرها ابن رشيق في قوله السابق الذكر .

5.3: التكرار عند عبد القاهر الجرجاني:

كما أثار العالم التحوي البلاغي عبد القاهر الجرجاني قضية التكرار ضمنياً في قوله: "قال الصاحب : لو لم يعده أربع مرات فقال: يجهل كجهل السيف وهو منتضى ، و حلم كحلم السيف وهو مغمد، لفسد البيت والأمر كما قال الصاحب والسبب في ذلك أنك إذا حدثت عن اسم مضاف ثم أردت أن تذكر المضاف إليه فإن البلاغة تقتضي أن تذكره باسمه الظاهر ولا تضمه ، وتفسير هذا أن الذي هو الحسن الجميل أن تقول جاءني غلام زيد وزيد، ويقبح أن تقول جاءني غلام زيد وهو " ¹³ ، فبعد القاهر يشير هنا إلى أهمية التكرار اللفظي في استقامة الكلام وحسنه.

كما وجد التكرار من معاني التّظّم، وأساس في تحقيق الانساق والانسجام وذلك في قول عبد القاهر الجرجاني معلقاً على بيت البحتري:

"فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتُهُ صَارِحًا *** وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتُهُ مُسْتَشِيًّا

إنّ الشاعر ربط بالعطف (الفاء) وكرر الكاف مع حذفه المبتدأ لأنّ المعنى هو كالسيف ثم كرر الكاف في قوله وكالبحر وهذا سبب واضح لحاسن النظم فيه"¹⁴، فتكرار الكاف والشّروط في هذا البيت حسب الجرجاني يقتضيها حسن النّظم.

4. الأغراض البلاغية للتكرار في الكشف:

لقد طرح الزّمخشري في منجزه الكشف عدة مصطلحات ومباحث بلاغية، سواء تعلّقت بعلم المعاني أو البيان أو البديع، وكان يعتمر من كلّ مصطلح من مصطلحات هذه العلوم الدلالة البلاغية التي تضيفها في سياق الآية، ومن الأغراض البلاغية للتكرار في تفسيره:

1.4- التنبيه:

مثاله ما جاء في قوله تعالى: وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (38) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ (39) وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (40) (سورة القمر، الآية: 38، 39، 40) قال الزّمخشري: "إن قلت ما فائدة تكرير قوله: فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ (39)، وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (40)؟ قلت فائدته أن يجددوا عند

استماع كل نبأ من أنباء الأولين إذكارا وَاَعَاظًا وَأَن يَسْتَأْنِفُوا تَنْبِيَهَا وَاسْتِيقَازًا ، إِذَا سَمِعُوا الْحَثَّ عَلَى ذَلِكَ وَابْعَثْ عَلَيْهِ وَأَن يَقْرَعَ لَهُمُ الْعَصَا مَرَّاتٍ وَيَقْعَقَ لَهُمُ الشَّن تَارَاتٍ لِّئَلَّا يَغْلِبَهُمُ السَّهْوُ وَلَا تَسْتَوِلِيَ عَلَيْهِمُ الْغَفْلَةُ وَهَكَذَا حَكَمَ التَّكْرِيرَ ، كَقَوْلِهِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) (سورة الرَّحْمَنِ: الآية: 13) عِنْدَ كُلِّ نِعْمَةٍ عَدَّهَا فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ ، وَقَوْلِهِ: وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15) (سورة الْمُرْسَلَاتِ: الآية: 15)، عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ أَوْرَدَهَا فِي سُورَةِ الْمُرْسَلَاتِ، وَكَذَلِكَ تَكْرِيرُ الْأَنْبَاءِ وَالْقَصَصِ فِي أَنْفُسِهَا لِتَكُونَ تِلْكَ الْعِبْرَ حَاضِرَةً لِلْقُلُوبِ، مَصُورَةً لِلْأَذْهَانِ مَذْكُورَةً غَيْرَ مَنْسِيَةٍ فِي كُلِّ أَوَانٍ¹⁵. فَبَلَاغَةُ التَّكْرَارِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ حَسَبَ تَحْلِيلِ صَاحِبِ الْكَشَافِ تَكْمُنُ فِي إِيقَازِ الضَّمَائِرِ الْغَافِلَةِ عَنِ فَضْلِ اللَّهِ، وَتَنْبِيْهِهَا لِعَذَابِهِ وَذَلِكَ لِأَخْذِ الْعِبْرَةِ وَالمَوْعِظَةِ وَمِثَالِهِ أَيْضًا مَا جَاءَ مِنْ تَكَرَّرِ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ وَالْمُرْسَلَاتِ، فِي الْأَوَّلَى تَنْبِيْهِ الْعَبْدِ الضَّعِيفِ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَالتِّي لَا يُمْكِنُ عَدُّهَا أَوْ حَصْرُهَا، وَفِي الثَّانِيَةِ فِي تَكَرَّرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ، تَنْبِيْهِ بِعِقَابِ اللَّهِ لِلْعَصَاةِ وَانْتِقَامِهِ مِنْهُمْ.

2.4- النَّصْحُ وَالْإِشَادَةُ:

قد ورد في تفسيره لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2) (سورة الْحَجَرَاتِ، الآية، 1، 2) يقول الرَّخْشَرِي: "إِعَادَةُ النَّدَاءِ عَلَيْهِمْ اسْتِدْعَاءُ مِنْهُمْ لِتَجْدِيدِ الْاسْتِصْبَارِ عِنْدَ كُلِّ خُطَابٍ وَارِدٍ، وَتَطْرِيقَةِ الْإِنْصَاتِ لِكُلِّ حُكْمٍ نَازِلٍ وَتَحْرِيكِ مِنْهُمْ لِّئَلَّا يَفْتَرُوا وَيَغْفِلُوا عَنْ تَأْمَلِهِمْ، وَمَا أَخَذُوا بِهِ عِنْدَ حُضُورِ مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْأَدَبِ الَّذِي الْمَحَافَظَةُ عَلَيْهِ تَعُودُ عَلَيْهِمْ بِعَظِيمِ الْجَدْوَى فِي دِينِهِمْ"¹⁶، أَمَّا الْغَرَضُ مِنْ تَكَرَّرِ النَّدَاءِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِنَّمَا هُوَ تَقْدِمْ النَّصْحِ وَالْإِشَادَةِ لِلتَّأْدَبِ وَالتَّهْذِيبِ فِي حَضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَذَا مَا فِيهِ مَنَفْعَةٌ كَبِيرَةٌ لَهُمْ .

3-4- التَّأْثِيرُ فِي الْمُتَلَقِّي:

وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39) (سورة الْغَافِرِ، الآية: 38، 39) يَقُولُ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "فَإِنْ قُلْتَ لَمْ كَرَّرْ نِدَاءَ قَوْمِهِ... قُلْتَ أَمَّا تَكْرِيرُ النَّدَاءِ فَفِيهِ زِيَادَةُ تَنْبِيْهِ لَهُمْ وَإِيقَازٌ عَنْ سَنَةِ الْغَفْلَةِ ، وَفِيهِ أَنَّهُمْ قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ وَهُمْ فِيمَا يُوْبِقُهُمْ، وَهُوَ يَعْلَمُ وَجْهَ خِلَاصِهِمْ وَنَصِيحَتِهِمْ عَلَيْهِ وَاجِبَةٌ فَهُوَ يَتَحَرَّزُ لَهُمْ وَيَتَلَطَّفُ بِهِمْ، وَيَسْتَدْعِي بِذَلِكَ أَنْ لَا يَتَّيْمُوهُ فَإِنَّ سُرُورَهُمْ سُرُورُهُ وَغَمُّهُمْ غَمُّهُ، وَيَنْزِلُوا عَلَى تَنْصِيحِهِ لَهُمْ كَمَا كَرَّرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَصِيحَةِ أَبِيهِ يَا أَبَتَ"¹⁷. فَتَكَرَّرَ نِدَاءُ (يَا قَوْمِ) لَهُ مِنَ الْأَثَرِ الْعَمِيقِ فِي النَّفْسِ، إِذْ يَعْمَلُ عَلَى اسْتِمَالَةِ الْمُتَلَقِّي وَتَحْرِيكِ مَشَاعِرِهِ، فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالْحُبِّ الَّتِي يَكْتَبُهَا هَذَا الْمُؤْمِنُ لِقَوْمِهِ وَخَوْفِهِ عَلَى مَصِيرِهِمْ إِنْ لَمْ يَمْتَثِلُوا وَيَسْتَجِيبُوا لِنِدَائِهِ وَنَصَحِهِ لِمَا فِيهِ خَيْرٌ عَظِيمٌ لَهُمْ.

وهذا ما أكدّه محمد حسين أبو موسى معلّقاً على تفسير الزمخشري للغرض التكرار في هذه الآية قائلاً: " ويفسر تكرار النداء في سورة غافر مستوحياً اللفظ المكرر وما له من أثر في استجابة النفس " ¹⁸ . فالتكرار كخاصة لسانية من السبل الأمثل للتأثير في النفس واستمالتها.

4-4- التأكيد على الفكرة:

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150) (سورة البقرة، الآية: 149، 150) قال الزمخشري: " وهذا التكرير لتأكيد أمر القبله وتشديده لأنّ النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة إلى التفصيلة بينه وبين البداء فكرّر عليهم ليشبوا ويعزموا ويجدوا " ¹⁹ ، ففي هذه الآية الكريمة تكرار يهدف إلى التأكيد والتشديد على التزام القبله حتى يسلم المؤمن من أي فتنة أو زلل، وفي نفس الوقت تحميس له وتقوية لعزمته للطاعة والعبادة الصحيحة.

4-5- التقرير:

تحدث الزمخشري على نوع من التكرار في القصص القرآني، منه ما جاء في تفسيره لقوله تبارك وتعالى في سورة الشعراء: كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176) إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (179).... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190) وَإِنَّ رَبَّكَ لَكُودٌ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (191) (سورة الشعراء، الآية: 176، 177، 178، 179، 190، 191)، يقول الزمخشري: " فإن قلت كيف كرّر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرّر؟ قلت كل قصة منها كنزيلة برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتح بما افتتحت به صاحبها وأن تحتتم بما اختتمت به، ولأنّ في التكرار تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتاً لها في الصدور، ألا ترى أنّه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلّا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلّما زاد ترديده كان أمكراً له في القلب وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر وأبعد من التسيان، ولأنّ هذه القصص طرقت بها آذان وقرعن الإنصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير) ²⁰ " فالزمخشري ينبّه إلى أهميّة التكرار في القصص القرآني لما فيه من تقرير المعنى في النفوس وتثبيتته في العقول ، فتكرار قصص الأمم السابقة ليس بإطناب ولا يؤدي إلى الملل ولكن في هذا التكرار متعة، و دور فعّال في الوعظ وإرشاد الأجيال القادمة وإصلاحها، وخاصة ما كان في قصص الأنبياء مع أقوامهم.

4-6- تعظيم قدرة الله وعلمه:

أشار علمنا الجليل إلى التكرير الذي يضاف فيه مع الكلام المكرر جملة أخرى إضافية مهمة في المعنى ولغرض بلاغي، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187) (سورة الأعراف، الآية: 187) قال الزمخشري: "إن قلت لم يكرر يسألونك وإنما علمها عند الله؟ قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله (كأنك حفي عنها)، وعلى هذا تكرير العلماء الحدائق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة، منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله²¹، فالتكرار في رأي صاحب الكشف وغيره من العلماء خاصية من خصائص الأسلوب القرآني الكريم وميزة من مميزات البلاغة الفريدة، والذي لا يكون في الكلام إلا لفائدة بلاغية كما جاء هاهنا في الآية الكريمة، إذ كان الغرض من التكرار التأكيد على أن علم الساعة أو يوم القيامة أمر غيبي لا يعلمه إلا رب السموات والأرض، ولم يطلع به أحدا من خلقه حتى يثابر العباد على الطاعة استعدادا لهذا اليوم العظيم.

4-7- الدعاء والابتهاال:

مثاله ما جاء في قوله تعالى: رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (191) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَنْبَارِ (192) (سورة آل عمران، الآية: 191، 192) يقول صاحب الكشف: "وتكرير (ربنا) من باب الابتهاال، وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة من احتمال المشاق في دين الله، والصبر على صعوبة تكليفه، وقطع لأطماع الكسالى المتمتئين عليه، وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا إليه بالعمل بالجهل والغبوة"²²، يقرّ صاحب الكشف في تفسير هذه الآيات الكريمة أن التكرار فيها كان بصيغة كلمة واحدة ألا وهي (ربنا) وقد جاءت لغرض الابتهاال في الدعاء والتضرع والاستكانة بغرض استجابة الله لهم وإنزال رحمته وغفرانه عليهم.

4.8- دفع التوهم:

جاء في قوله تعالى: أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ (49) (سورة آل عمران، الآية: 49) يقول مفسرنا: "وكرر * بإذن الله * دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية"²³، فالتكرار في هذا المقام إثبات للتبوية وتجسيد وتوكيد لقدرة الله الواحد عز وجل وقوته، أودعها معجزة خالدة في شخص نبيه عيسى بن مريم عليه السلام ودفع للتوهم من يرى غير هذه الحقيقة الساطعة.

4.9- التخصيص:

ويظهر ذلك في قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8) (سورة العاديات، الآية: 8، 7، 6) يقول الزمخشري: "يعني أنه لنعمة ربه خصوصاً لشديد الكفران... وإن الإنسان (على ذلك) على كنوده (لشهود)، يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره، وقيل: وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (الخير) المال من قوله تعالى: إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا (سورة البقرة، الآية: 180) والشديد البخيل الممسك"²⁴، فجاء التكرار في هذا المقام للتخصيص أي خصص الحديث عن فئة معينة من البشر بغرض الدّم.

— وكذا ما جاء في قوله تعالى: أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) (سورة البقرة، الآية: 5) يقول الزمخشري: "وفي تكرار (أولئك) تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح، فجعلت كل واحدة من الأثرين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حياها " ²⁵ ، فتكرار اسم الإشارة (أولئك) فيه تخصيص لفئة معينة من الناس تميزت بمداها وتقاهها فكانت النتيجة الفلاح في الدنيا والآخرة ، فالعمل المتميز تكون نتيجته متميزة عما سواها

— 4. 10- إنكار ادعاء المنافقين:

ورد في قوله تعالى: ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (8) (سورة البقرة، الآية: 8) يقول الزمخشري: "وفي تكرار الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام، فإن قلت كيف طابق قوله «وما هم بمؤمنين» قولهم «آمنا بالله وباليوم الآخر»... قلت القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه، فسلكت في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب، وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره"²⁶ . فقد جاء الغرض من التكرار في هذه الآية الكريمة هو التأكيد على كذب المنافقين، و نفي إدعائهم المزعوم بالطاعة و الإيمان.

— 4- 11- التقييح والتّهجين:

ويتجلى في قوله تبارك وتعالى: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59) (سورة البقرة، الآية: 59) يقول إمامنا: "وفي تكرير (الذين ظلموا) زيادة في تقييح أمرهم، وإيدان بأنّ إنزال الرّجز عليهم لظلمهم"²⁷ . فجاء التكرار في هذه الآية بغرض تقييح شأن الظالمين وتّحجين أمرهم وتشنيعه، وما كان هذا التّهجين والتّقييح إلّا لكفرهم وتماديهم في الفسوق والعصيان .

— 4- 12- الدّعوة إلى الاعتبار:

وقد جاء في قوله تعالى: وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (60) (سورة هود، الآية: 60) يقول الزمخشري: "ألا، وتكرارها مع النداء على كفرهم والدّعاء عليهم تحويل لأمرهم

وتفطيع له، وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم²⁸. فتكرار «ألا» التَّبْيِيهِيَّة في الآية جاء لغرضين بلاغيين هما: تحويل وتفطيع أمر عاد قوم هود، وتجريم أفعالهم من جهة، و من جهة أخرى جاء من أجل التَّبْيِيه وأخذ العبرة من نهايتهم الفظيعة.

13.4 - التوضيح:

يستحسن التَّمخِشِي تكرر جملة في السُّورَة الكريمة مع اختلاف صيغتها، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (13) إِنَّ كُلاًّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ (14) (سورة ص، الآية: 12، 13، 14). يقول صاحب الكشف: "ولقد ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام، ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعاً، وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً وبلاستثنائية ثانياً، وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه"²⁹ فقد جاء هذا النوع من التكرار مفيداً لأنه يحمل توكيداً وتخصيصاً للمعنى في آن واحد فجاء بصيغتين مختلفتين هما التأكيد بالجملة الخبرية ثم بالجملة الاستثنائية "لأن الاختلاف في الصياغة من عناصر القوة في التكرير"³⁰.

وكما تنبّه التَّمخِشِي إلى دلالة التكرير في الألفاظ والجملة تنبّه أيضاً إلى "أن الإعادة و التكرير لحروف اللفظة وما يتبع ذلك من توالي حروفها وجرسها الموسيقي له أيضاً أثر في المعنى"³¹، ومنه ما جاء في قوله تعالى: فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (49) (سورة الشعراء، الآية: 49) يقول صاحب الكشف: "والكبكة تكرير الكب ، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها"³². فقد تكرر الصّوت الأول والثاني من الفعل، وفي هذا التكرار للحرفين الباء والكاف دلالة في المعنى، وهي شدة تدرج الوجوه وقوة اندفاعها في جهنم.

وجاء في آية أخرى من قوله تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُخِّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185) (سورة آل عمران، الآية: 185)، يفسر التَّمخِشِي بقوله: "والزحزحة التَّحْنِيَة والإبعاد وتكرير الرّج وهو الجذب بعجلة"³³. فالتّحاد الصّوتين الزاي والحاء وتكرارهما دالّ على معنى السلامة من الأذى و النّجاة من الهلاك.

خاتمة:

وخلاصة القول إنّ التَّمخِشِي اعتنى بمصطلح التكرار عناية خاصة في منجزه الكشف فجهوده لم تتوقّف عند حدود التَّنظِير لهذا المصطلح فحسب؛ وذلك بتعريفه أو ذكر أنواعه وأقسامه كما فعل الكثير من

علماء البلاغة قبله، بل كان يهتم بإبراز جماليّاته في الكلام، ويعتصر منه الدلالة البلاغيّة التي يؤدّيها في سياق كلّ آية من آيات الذكر الحكيم ، فالتكرار في القرآن الكريم تنوعت أشكاله فوجدناه في بعض الآيات تكرار لكلمات وفي البعض الآخر تكرار لجملة قصيرة، ووجدنا في بعض السور تكرار لآيات كاملة وغيرها من أنواع التكرار الواردة، وقد وجد مفسّرنا أنّ من أغراضه البلاغيّة الشائعة في آيات الذكر الحكيم وقصص القرآن: التنبيه النصّح والإرشاد، التأثير في المتلقّي، التأكيد التقرير و التعظيم ، الدّعاء والابتهال، دفع التّوهم، التّخصيص، التّقبيح والتّهجين، الدّعوة إلى الاعتبار... وغيرها.

الهوامش:

- 1 - ابن منظور جمال الدين أبو الفضل، (د،ت) ، لسان العرب، ج5، دار صادر، بيروت، لبنان،(د،ط)، مادة (ك،ر،ر)، ص135.
- 2 - الفيروز آبادي محمد بن يعقوب، 2005، القاموس المحيط، إشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، ص469 .
- 3 - الزّحشري جار الله، 1998 ، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ص128
- 4 - الشّريف الجرجاني، (د،ت)، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د،ت) ،ص68.
- 5 - ابن جني أبو الفتح عثمان، (د،ت)، الخصائص، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، ص106،104.
- 6 - الزّبيدي محمد مرتضى،(د،ت)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج14، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د،ط)، ص14.
- 7 - الجاحظ أبو عثمان بن بحر، 1388، الحيوان، ج1، تحقيق : عبد السلام هارون، الجمع العلمي العربي الإسلامي بيروت، ط3، ص595.
- 8 - الجاحظ، 1395، البيان والتبيين، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط4، ص105.
- 9 - ابن قتيبة الدينوري، 2007، تأويل مشكل القرآن، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ، ص149.
- 10 - الزّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني،(د،ت)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، ص52 .
- 11 - ابن رشيق القيرواني، 2000، العمدة في صناعة الشّعْر ونقده، ج2، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، ص698.

- 12 - نفسه، ج2، ص698، 699، 700، 702.
- 13 - عبد القاهر الجرجاني، (د،ت)، **دلائل الإعجاز**، تعليق: محمود محمد شاكر أبو فهد، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، مصر (د،ط)، ص555.
- 14 - ينظر عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص85، 86.
- 15 - الزمخشري أبو القاسم جار الله، 1998، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج5، تحقيق وتعليق: أحمد عادل عبد الموجود ، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان ، الرياض، ط1، ص662.
- 16 - نفسه، ج5، ص156، 157.
- 17 - نفسه، ج3، ص372.
- 18 - محمد حسين أبو موسى، (د،ت)، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، دار الفكر العربي القاهرة، (د،ط)، ص374.
- 19 - الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ص103.
- 20 - نفسه، ج3، ص126.
- 21 - نفسه، ج2، ص108.
- 22 - نفسه، ج1، ص239.
- 23 - نفسه، ج1، ص191.
- 24 - نفسه، ج6، ص419، 420.
- 25 - الزمخشري أبو القاسم جار الله، (د،ت)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج1، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، (د،ط)، ص25.
- 26 - نفسه، ج1، ص30.
- 27 - نفسه، ج1، ص71.
- 28 - نفسه، ج2، ص222.
- 29 - نفسه، ج3، ص319.
- 30 - محمد حسين أبو موسى، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها الدراسات البلاغية**، ص176 .
- 31 - عطية نايف عبد الله الغول، (د،ت)، **النظرية البلاغية عند الإمام الزمخشري في الكشاف عن حقائق التنزيل**، دار يافا العلمية، الأردن، ط1، ص129.
- 32 - الزمخشري، **الكشاف**، ج3، ص119.
- 33 - نفسه، ج1، ص235.